الفصل الثالث

عادل الغضبان رئيس تحرير إصدارات دار المعارف

عادل الغضبان

«كلما قرأتُ كتابًا جديدًا بالعربية أيقنتُ أن مشكلة كتبنا الأولى والأهمَ هى غيابُ التحرير. كثيرون يكتبون كأنهم حكواتيون فى مقهى. يثرثرون ويثرثرون ويعتبرون ذلك تدفقًا فى السرد! على دُور نشرنا أن توظّف محررين ماهرين ومثقفين يتصدون لآفة الثرثرة، ويقنعون الكاتبَ الجهبذ بعملهم التحريرى(*) الذى لا يقلّ أهمية عن عمله بالذات!"..

"سماح إدريس" نجل الكاتب والناشر الراحل "سهيل إدريس" (مؤسس دار الآداب بيروت).

مقال عن المحرر الأدبى

"المحرر قارئ حصيف ينبه المؤلف إلى بعض مواضع الوهن فى نصه، ويسعى إلى تصحيح بعض أخطائه، ويدعوه إلى إعادة كتابة بعض الفصول أو الفقرات، وتغيير عناوين بعض الفصول، ما يجعل النص أفضل وأشد وقعا وتأثيرا فى العادة".

الناقد الأردنى فخرى صالح

هذه مقولات ثلاثة تتحدث جميعًا عن مهنة المحرر الأدبى، أو بمعنى أشمل وأعم محرر النصوص المكتوبة كى تنشر فى كتاب يُذاع على الناس، وهى مهنة جليلة الخطر والشأن، وفى

(*) وظيفة المحرر الأدبى ليست التصحيح اللغوي، وإنما دوره يتمثل فى تنقيح النص من العاهات والزوائد والحشو وما لا يحتمله النص، ليخرج نصا صالحا للقراءة. من الآخر هو بمثابة "الديسك" لتجميل ما شوهته يد الكاتب. وفى معنى آخر الماشطة للدميمة.

السنوات العشرة الأخيرة، وربما قبلها أيضا تتزايد الشكوى، مر الشكوى، من افتقاد "محرر النصوص" المحترف، القارئ الذكى الحصيف الذى يتدخل كالجراح الماهر فى تعديل النصوص وتهيئتها للنشر كأحسن ما يكون وأكمله، من عتبة النص وحتى السطر الأخير، إذا حضر هذا المحرر وكان متميزًا واعيا لطبيعة المهمة التى يقوم بها خرجت إصدارات الدار التى يعمل بها ويتولى مسؤولية تحرير مطبوعاتها كأحسن ما يكون، وضمنت لنفسها مكانًا رفيعًا بين دور النشر المحترمة المرموقة، وإذا غاب أو توارى لأى اعتبار آخر فلا مجال للحديث عن مطبوعات متميزة أو إصدارات يمكن لها أن تنافس وتباهى بمحتواها ومادتها المحررة.

وفى ظنى ما كان لدار المعارف، عبر تاريخها المديد والعريق، أن تتبوأ المكانة الرفيعة التى احتلتها طوال ما يزيد على خمسة وسبعين عامًا متصلة لولا وجود هذا المحرر المدقق، وسيدهش القارئ الكريم إذا علم أن صاحب الدار ومؤسسها الأول كان أيضا هو المحرر الأول الذى يقوم بمهام التحرير والتعديل وإعادة الصياغة واختيار العناوين.. إلخ مما يتصل مباشرة بمهنة المحرر الأدبى.

خلال الفترة التى تولى فيها "شفيق مترى" الابن مسؤولية الإشراف على دار المعارف، وهى بلا شك فترة ازدهارها وتألقها ووصولها لذروة ما تطمح إليه مؤسسة لنشر الكتب، كان هناك بطل مجهول أو "المساهم السرى" (بتعبير ألبرتو مانغويل) لولا جهوده وكفاءته ودأبه وإخلاصه الشديد، فضلا عن تأسيسه لجملة من التقاليد والإجراءات المرعية التى تشكل فى مجملها ما يعرف الآن باسم وظيفة "المحرر الأدبى"، ما كان لدار المعارف ولا إصداراتها المهولة أن تحتل مكانتها فى المكتبة العربية والإنسانية حتى اللحظة، بكل ما مثلته وقدمته من علم ونور وإشعاع ثقافى يمتد أثره ويظل إلى ما شاء الله. عن الرائد الشامى الكبير عادل الغضبان.

و "عادل الغضبان" (١٩٠٨م- ١٩٧٢م) واحد من المثقفين الكبار

الذين أدوا خدمات جليلة للثقافة العربية بشكل عام، وفى مجال نشر الكتب وأدب الأطفال بشكل خاص، فضلا كما قلت، عن تأسيسه لتقاليد مهنة "المحرر الأدبى" لدور النشر بشكل احترافى، وذلك خلال الفترة التى عمل بها محررًا ومشرفًا عامًا على نشر الكتب والإصدارات فى دار المعارف لأكثر من ثلاثة عقود متصلة. وهى الفترة التى شهدت توهج وازدهار الدار واحتلالها، دون منافس، المرتبة الأولى بين دور النشر العربية من المحيط إلى الخليج.

"لعادل الغضبان" قصة تروى وسيرة تحكى ونشاط ومجهود وإنجاز يستحق أن يؤرخ له ويسجل ويوثق، وأن يكون بين أيدى الأجيال الجديدة والقادمة لتعرف كيف يُبنى مجد المؤسسات الثقافية بفضل إخلاص وكفاءة واقتدار رجال عظام بقيمة وقامة "عادل الغضبان".

كان "الغضبان" جزءًا لا يتجزأ من تاريخ دار المعارف فى عصرها الذهبى، وركن أصيل من سيرتها وفضلها وإنجازها، ورغم ذلك الدور الهائل الذى أداه الرجل، فإن مما يؤسف له عدم توافر أى مادة تؤرخ وتوثق لهذا الرجل ومجهوده العظيم وإنجازه الضخم، فعلى كثرة ما بحثت ونقبت عن سيرة الرجل وأعماله وتاريخه فوجئت بأن لا شىء على الإطلاق يليق بحجم وإنجاز الرجل باستثناءات لا تذكر ولا تشكل خرقا للقاعدة بل تثبيتًا لها وتأكيدًا.

كل ما وجدته عن "عادل الغضبان" لا يتجاوز فصلين قصيرين فى كتابين هما «وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره» للكاتب والمؤرخ الأدبى القدير "وديع فلسطين"، و«وجوه عربية على ضفاف النيل» للمرحومة "وداد سكاكيني" فى ما لا يتجاوز عدة صفحات ركزت خلالها على جانبه الشعرى والأدبى ولم تتعرض تقريبًا لعمله فى دار المعارف إلا بأسطر قليلة، ثم بعض مقالات هنا أو هناك لا تشفى غليلاً ولا تقدم زادًا. حاولتُ قدر الجهد والطاقة أن أقدم فى هذا الفصل شيئًا من سيرة "عادل

الغضبان"، وأن ألقى ضوءًا على دوره وإنجازه الكبير من خلال عمله فى دار المعارف.

طَرَف من السيرة

أول إشارة عثرت عليها عن «عادل الغضبان» ودوره فى دار المعارف كانت فى مقالة لافتة للمرحوم الناقد الكبير «رجاء النقاش» نشرها فى جريدة الأهرام، وذكر فيها نصًا «كان وراء هذا النشاط الثقافى المتميز بالعمق والذوق والحس القومى فى دار المعارف، خاصة منذ حوالى سنة ١٩٤٠م، رجلٌ نابغٌ نابه جمع بين الموهبة والثقافة الرفيعة والأخلاق الصافية العالية، والقدرة الإدارية الحازمة الدقيقة، وهو المثقف؛ الشاعر الأديب "عادل الغضبان" (١٩٠٨-١٩٧٢م) وبفضل كل هذه الصفات الطيبة التى اجتمعت فى شخص «الغضبان»، فإنه كسب ثقة صاحب الدار «شفيق مترى» الذى اعتمد عليه وأتاح له الفرصة الكاملة ليعمل ويبدع، وكان «الغضبان» رئيسًا لتحرير مجلة (الكتاب) ورئيسًا لتحرير سلسلة (اقرأ)، والحقيقة أنه كان رئيسًا لتحرير دار المعارف كلها».

وعنه أيضًا يقول «السيد أبو النجا» أول مشرف على دار المعارف عقب تأميمها، فى سيرته الذاتية «ذكريات عارية»، (ص ٢٠٥):

«ومن حسن الحظ أن كان على رأس النشر فى الدار شاعر كبير هو فى الوقت نفسه رجل أعمال.. و«عادل الغضبان» يتخذ من الشعر هواية، ومن التعامل مع المؤلفين مهنة، ومن الغريب أنه يستطيع الجمع فى عمله بين الحقيقة والخيال».

ويذكر «وديع فلسطين» فى مقالة قيمة له نشرها بجريدة الحياة اللندنية (بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٩٩م) أن «عادل الغضبان» ارتبط طوال عمره ومنذ عام ١٩٤١م بدار المعارف وصارت الدار تعرف بأكبر عَلمين فى صناعة النشر، هما «شفيق مترى» (ت ١٩٩٤م) نجل «نجيب مترى» مؤسس الدار، و«عادل الغضبان»، وهو أفقهُ

من عرفته دورُ النشر بالقيمة الحقيقية للمؤلفات والمصنفات أيًا كان موضوعها».

اسمه بالكامل «عادل حكمت الغضبان»، من أعلام الأدب والصحافة فى الوطن العربى بلا جدال، من مواليد الحادى عشر من نوفمبر عام ١٩٠٥ بالتقويم الرومى الذى يقابل العام ١٩٠٨ بالتقويم الميلادى، وُلد بمدينة مرسين التابعة لمحافظة حلب قبل أن يستولى عليها الأتراك، من أسرة حلبية الأصل، فهو سورى الأصل، مسيحى الديانة، وكان والده ضابطًا بالجيش التركى. و"عادل الغضبان"، هو ابن «حكمت الغضبان» شقيق «إلياس» وقريب «حكمت» زوج الأديبة المشهورة (مريانا مراش) فهو يمتّ بصلة النسب والقرابة إلى «آل المراش» أيضًا (الذين خرج فيهم «فرنسيس فتح الله المراش» صاحب رواية «غابة الحق» التى يقال عنها إنها أول وأقدم نص روائى سردى فى تاريخ الرواية العربية).

والتحق فى بادئ الأمر بمدرسة ابتدائية فى حلب، قبل أن تنزح أسرته إلى مصر، وقيل إن أسرته هاجرت من حلب إلى القاهرة وعمره شهران فقط، فأقامت أسرته بها ونشأ وترعرع فى رحابها، وتلقى علومه الأولى فى معهد الآباء اليسوعيين (مدرسة العائلة المقدسة الجزويت) بالقاهرة، التى كانت قلعة للغتين العربية والفرنسية بفضل مديرها الأب «جبرائيل العقيقى»، فأظهر عادل الغضبان تفوقًا واضحًا فى اللغتين، حتى إذا ما ظفر بشهادة البكالوريا عينه الأب العقيقى مُدرسًا للغة العربية فى المدرسة ولا سيما لأن «عادل الغضبان» لم يكن يقنع طوال سنى الدراسة بمتابعة المقررات، بل كان يطالع كذلك أمهات الكتب العربية ودواوين الشعراء، وشرع فى هذه السن الصغيرة فى نظم الشعر على بحور «الخليل بن أحمد».

وكان التفرغ للتدريس يقتضيه بذل جهود تتصل حتى بعد انتهاء اليوم المدرسى، ولهذا ارتضى الانتقال إلى وظيفة متواضعة فى

سكك حديد مصر، وأُسند إليه فيها عمل الترجمة. وكانت مصر في ذلك الوقت خاضعة للاستعمار البريطاني الذي أنشأ محاكم مختلطة كي يحاكم أمامها الأجانب المتمتعون بامتيازات تحميهم من المثول أمام المحاكم المصرية والقضاة المصريين، وهي محاكم ألغيت في ما بعد عند إلغاء الامتيازات الأجنبية في عام ١٩٣٦م. فالتحق "عادل الغضبان" بهذه المحاكم مترجمًا بفضل إجادته للغتين العربية والفرنسية، وكان قد تابع دروسًا في القانون في مدرسة الحقوق الفرنسية للتضلع من المصطلحات القانونية. ثم اشتغل في الصحافة، وكان يترجم لكبريات الصحف المصرية ما تكتبه صحافة الغرب من مقالات وآراء في السياسة الدولية مما له صلة بالوطن العربي، وكان في كل ذلك متصلا اتصالا وثيقا بدوائرها الأدبية ونشاطها الذي لا ينقطع.

ويحكي الذين كتبوا عن «عادل الغضبان» أو تعرضوا لشيء من سيرته أنه كان نادرة النوادر في حبه وعشقه للثقافة العربية الإسلامية ومعرفته بها ودفاعه المخلص الدائم عنها، وكانت ثقافته العربية أدبا وشعرا ومثلا، وتراثا بالجملة، مضرب الأمثال. كان شاعرًا وله قصائد عديدة منشورة بدوريات ذلك العصر، وكان يتمتع بشخصية جذابة وأسلوب ناصع وإحساس شاعري مرهف وكان غزير الشعر وخاصة في المناسبات الاجتماعية والوطنية.

والذين خصوا جانبه الإبداعي بالدراسة والتحليل أشاروا إلى أن شعره يمثل امتزاج المدرستين التقليدية والمجددة في صورة دقيقة صادقة، ويجمع في تكوينه بين روح حلب وروح مصر، مدرسة حلب التي جمعت بين الدعوة إلى الحرية ونظم الشعر وعرفت بعنايتها بالأسلوب البليغ الناصع وبالشعر الرصين، وبمدرسة مصر عاش طفلاً في القاهرة وارتبطت مطالع حياته بمشاهدها وأدبها وأعلامها.

كما يتميز شعره برشاقة العبارة وأناقتها وعلى جمال الأسلوب، وكان يحرص دائمًا على تصعيد المعاني الجديدة

وسكبها فى قالب عربى حميم، وعيشه فى مصر ومشاركته فى الجو الأدبى فيها تركت أثرا واضحا فى تكوين ثقافته الأدبية، وفى شعره الوجدانى تلمس هذه الشفافية فى التعامل مع مفردات اللغة والبساطة فى تناول الأفكار.

ومن كتب «عادل الغضبان» المنشورة كتاب «الشيخ نجيب الحداد» (صدر ضمن مجموعة «نوابغ الفكر العربى» الكتاب رقم ٣)، وقصة «ليلى العفيفة»، ومسرحية شعرية بعنوان «أحمس الأول»، بشرت بارتياده مكانة مرموقة فى بواكير الحركة المسرحية الشعرية، وهى المسرحية التى نال عنها جائزة وزارة المعارف لموضوعها وصياغتها الفنية، حيث تحدثت عن تحرير مصر من الهكسوس على يد البطل أحمس حديثا لم يخالف حقائق التاريخ، مع إبداع شعرى رائع فى الحوار وتتابع الأحداث.

وله أيضا ملحمة شعرية عنوانها «من وحى الإسكندرية»، وهى ملحمة من نفس البحر والوزن والقافية وقعت فى ١٨٧ بيتا سجل فيها تاريخ الإسكندرية منذ عهد مُنشئها «الإسكندر المقدونى» وحتى العهد الحالى، وصدرت هذه الملحمة الشعرية فى عام ١٩٦٤م. وله أيضا ديوان شعر ضخم سماه «قيثارة العمر» فيه شعر عمودى، لم يُنشر حتى وفاته، وعنه يقول المرحوم «رجاء النقاش» «وقد كنت أتمنى أن تقوم دار المعارف بتكريم ذكرى هذا الرائد العظيم، وأن

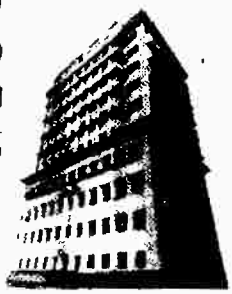

تقوم بنشر ديوانه الوحيد الذى لم يتمكن «عادل الغضبان» من نشره فى حياته لكثرة مشاغله ومسئولياته».

وأشار غيرُ واحد إلى أن «للغضبان» أيضًا معارضات شعرية كثيرة ستظل مجهولة إلى أن يتأتى لديوانه المخطوط «قيثارة العمر» أن ينشر بعدما يضاف إليه ما تناثر من شعره فى بطون المجلات المصرية والعربية.

كما ترجم «الغضبان» مجموعة من الكتب مثل «الزنبقة السوداء»، و«دون كيشوت»، و«الأميرة والفقير»، و«مملكة البحر»، و«تربية البنات» من تأليف «فينلون». وأصدر كتبا للأطفال والناشئة، وألف كتبًا مدرسية فى أصول النحو والصرف مع زميله «فايد العمروسي» (ت ١٩٧٦). وله فضلاً عن ذلك عشرات المؤلفات للكبار والصغار على السواء، وهى الأعمال التى أخرجها إبان عمله فى دار المعارف وكانت أخصب فترات حياته وأغزرها حتى توفاه الله فى القاهرة فى الحادى عشر من ديسمبر سنة ١٩٧٢م، ودفن بها.

الغضبان ودار المعارف.. رباط مقدس

لعلّ فى قصة «عادل الغضبان» والتحاقه بدار المعارف مغزى لكل مهتم وباحث عن عناصر النجاح والتميز التى تقوم عليها مؤسسة للنشر وطباعة الكتب؛ بل أى مؤسسة، فعندما يكون على رأس هذه المؤسسة رجل بحجم وخبرة وتفوق «شفيق مترى» يلحظ بعين خبيرة مدربة الكفاءة الحقيقية ويتشمم بحاسة الإدارى الناجح الموهبة الفذة، فإنه على الفور يبادر باستدعائها وإسناد المهام الجليلة إليها فتكون النتيجة ازدهار غير مسبوق ونجاح لا يُحد والوصول بالمؤسسة إلى مصاف الكيانات الاقتصادية الكبرى فى العالم العربى، فضلا عن دورها الثقافى والتنويرى الذى التزمت به وسعت إلى تحقيقه.

يحكى المؤرخ الأدبى «وديع فلسطين» قصة اكتشاف «شفيق مترى» «لعادل الغضبان»، فيقول إنه بعد حل المحاكم المختلطة، التى كان يعمل بها مترجما، التحق عادل الغضبان بدار المعارف التى أصبحت كل دنياه، واقترن اسمه بها وبكل ما حققته من سمعة ضخمة على الصعيدين العربى والعالمى. كان «الغضبان» وقتها - فى حدود عام ١٩٤٤م - شابًا فى مقتبل العمر يزاول فى الدار عملاً كتابيا مع زميل له اسمه «يوسف شحاتة» دفعه طموحه إلى الاستقلال بدار أطلق عليها اسم «دار العالم العربى» وأصدر عنها مجلة شهرية عنوانها (العالم العربى)، ولكن الداء العضال اقتضب عمره، وآلت ملكية الدار إلى شريك له.

وسرعان ما اكتشف «شفيق مترى»، صاحب الدار، أن لـ«عادل الغضبان» من كفاءاته المتعددة، ومن فضائله الخلقية الكثار ما يرشحه لأكبر من هذه الوظيفة المكتبية، فاختاره مُشرفًا ثقافيًا على مطبوعات الدار فى عهدها الذى أصبح بفضله عهدًا زاهرًا، وصار صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى تقرير ما تنشره الدار من الكتب بموضوعاتها المتباينة، بما فى ذلك كتب التراث الضخام بأجزائها التى تُربى أحيانًا على العشرين.

كان هذا القرار الذى اتخذه «شفيق مترى» بإسناد مهام الإشراف على المطبوعات الثقافية لدار المعارف إلى «عادل الغضبان» «نقلة نوعية» واستهلالاً لمرحلة جديدة فى تاريخ الدار، تزامن فيها تقسيم المهام إداريًا وماليًا "لشفيق مترى ويوسف مشاقة"، وتحريريًا لـ «عادل الغضبان» فكان أن شهدت دار المعارف خلال الفترة (١٩٤٥م - ١٩٦٣م) أعظم نجاحاتها، وأغزر إنتاجها، وارتبط القوام الأكبر من أهم الإصدارات فى كل المجالات وعلى كل المستويات بهذه الفترة المزدهرة الغنية المشرقة وهؤلاء العظام الذين كانوا وراء هذا الإنجاز.

ماذا قدم «الغضبان» لدار المعارف؟

يقول «وديع فلسطين»:

«أما مآثر «عادل الغضبان» فى دار المعارف فكثيرة، فهو صاحب فكرة إصدار السلاسل المختلفة مثل «اقرأ»، و«نوابغ الفكر العربي»، و«نوابغ الفكر الغربى»، و«ذخائر العرب»، و«أولادنا»، وكذلك فكرة إصدار مجلة (سندباد) للأطفال التى رأس تحريرها «محمد سعيد العريان» (١٩٠٥م - ١٩٦٤م).

وهو الذى رأس تحرير مجلة «الكتاب» الشهرية التى استمرت تصدر بانتظام منذ عددها الأول فى تشرين الثانى/ نوفمبر ١٩٤٥م وإلى آخر أعدادها فى عام ١٩٥٢م. ومن المصادفات التى لا أحاول تعليلها أن جميع مجلاتنا الأدبية كـ "المقتطف" و "الرسالة" و "الثقافة" و "الكاتب المصرى" و "الكتاب" و "مجلة علم النفس" كانت على موعد مع عام ١٩٥٢م أو بعده بقليل، فاحتجبت جميعًا فى هذا التوقيت الملغز! وكان الإشراف على كل ما تنشره الدار يقتضيه أن يطالع بنفسه على كل نص يقدم للنشر، سواء أجيز أو لم يُجز، فجاء هذا كله على حساب الطاقة الأدبية "للغضبان" نفسه، إذ كان يقول لى إنه يفضل نشر كتب الآخرين على نشر كتبه الخاصة، ولهذا قلّ إنتاجه الأدبى المنشور، وبقى إنتاج كثير مخطوطا».

وهذا الفصل من تاريخ دار المعارف، هو أزهى وأزهر فصولها وأغناها بالكتب والإصدارات، المؤلفين والكتاب والشعراء ومحققى التراث والمترجمين، سلاسل الكتب المتنوعة للكبار والصغار، الدوريات الثقافية العامة، وأخرى موجهة للأطفال، كل ذلك وغيره شهدته دار المعارف على مدار ثلاثين سنة متصلة، كان «عادل الغضبان» يقف وراء كل هذا النشاط مثل «الدينامو» لا يكل ولا يمل، فهو أولاً المحرر الأول للدار تعرض عليه الأعمال المقترحة للنشر، يقرأها ويبدى الرأى فيها، وفى حال قبول نشرها،

يقوم بتحرير النص وإجراء التعديلات المطلوبة، والوصول به إلى أحسن صورة يمكن أن يظهر بها وعليها، كل ذلك بالتوازى مع جهوده الخاصة فى التأليف والترجمة والكتابة للأطفال.

وقف «عادل الغضبان» وراء نجاح كل السلاسل التى ظهرت عن دار المعارف خلال تلك الفترة، فقد كان بحق الجندى المجهول، الذى يتولى إعداد الكتب ويختار مؤلفيها أو يسند بعض الأعمال إلى كتاب بأعينهم (بتكليف خاص من دار المعارف)، وكان هو الذى يتولى الإعداد والتخطيط لشكل السلاسل وموضوعاتها وتحديد الإطار والمنهج العام الذى على أساسه ستخرج كتب هذه السلسلة أو تلك. وتقريبا هو الذى كان أيضا يحرر كل المواد الدعائية والترويجية لكتب دار المعارف وسلاسلها المتنوعة على ظهر أغلفة إصدارات الدار، فكان يصوغ عبارات رشيقة تعرف بالكتاب أو السلسلة، وتعرض فى إيجاز لمحتواها، ثم تعدد فى نقاط مكثفة أبرز ما تقدمه أو تتميز به، وفى مناسبات أخرى كان يورد أقوال كبار الكتاب والأدباء وتقريظاتهم فى الأعمال الصادرة عن الدار.

«أولادنا»..

ولو أخذنا مثالاً على ذلك النجاح، سلسلة كتب «أولادنا»، التى كان يشرف عليها المرحوم «محمد فريد أبو حديد»، وصدر منها عناوين ما زالت معروفة ومقروءة حتى وقتنا هذا؛ مثل: «عمرون شاه»، «مملكة السحر»، «كريم الدين البغدادي»، «آلة الزمان»، «الأمير والفقيرة»،

«كتاب الأدغال»، «بينوكيو»، «نبوءة المنجم»، «روبن هود»، وغيرها من روائع الأعمال الأدبية والخيالية للأطفال والناشئة.

كانت هذه الكتب تصدر فى قطع أنيق، وفى عدد من الصفحات لا يكاد يزيد أو ينقص بقليل أو كثير عن المقرر له (فى المتوسط ١٢٠ صفحة)، وبأغلفة غاية فى الروعة والجاذبية، وصور ولوحات رسمت خصيصا لكتب السلسلة، قام بها الرسام الأرمنى «ديك». وبسبب من الرعاية الفائقة التى كان يوليها «عادل الغضبان» لكتب هذه السلسلة، شكلاً ومضموناً، نجحت نجاحا كبيرا، وأصبحت من أهم السلاسل التى تخاطب الشباب والناشئة وتحثهم على القراءة والإقبال عليها.

كانت دار المعارف تُعرّف بسلسلة «أولادنا» على أغلفة كتبها بالعبارة الآتية: «مجموعة من القصص الحية الرشيقة المفيدة تغذى روح الطالب وتجلو له فى جميع مراحل النمو عناصر المتعة والثقافة وسمو النفس. المجموعة التى تحبب الكتاب الصالح إلى الطالب فيقبل عليه صغيرًا ويتعلق به كبيرا ويكون له نعم الزاد فى سفرة الحياة. بإشراف الأستاذ «محمد فريد أبو حديد بك»، ومن تحرير «عادل الغضبان».

وعلى ظهر الغلاف الخلفي، جاء تعريفها كالآتى «مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام»، (كانت النسخة تباع باثنى عشر قرشا).

«الغضبان»... ومجلة «الكتاب»

من الصفحات المجهولة فى تاريخ دار المعارف، وربما لا يعلم عنها الكثيرون شيئًا أنها بجانب دورها الكبير الضخم فى مجال نشر الكتب، قد دخلت ميدان إصدار المجلات مبكرا (مقارنة بمثيلاتها

من دور النشر التى تفرغت للكتاب وحده فقط)، ولكنها اقتصرت فى ذلك على مجالها الأصلى، وهو الثقافة، فأصدرت الدار مجلة ثقافية شهرية، هى مجلة «الكتاب»، وصدر العدد الأول منها فى نوفمبر سنة ١٩٤٥م، أما عددها الأخير فصدر فى يونيو سنة ١٩٥٣م، أى ظلت تصدر نحو ثمانى سنوات (سبع سنوات وتسعة أشهر على وجه الدقة)، وصدر منها نحو تسعة وسبعين عددا.

هذه الدورية الثقافية الجديدة التى صدرت تحت شعار «مجلة شهرية للآداب والعلوم والفنون»، قُدر لها وخلال الفترة التى ظهرت فيها أن تلعب دورًا ثقافيًا رفيعًا ومتميزًا بفضل إدارة تحريرها التى كان يترأسها «عادل الغضبان»، ومنذ عددها الافتتاحى استطاعت المجلة أن تكون فى الصف الأول من المجلات الثقافية التى كانت تزخر بها تلك الفترة؛ فترة خصبة ومزدهرة بالعديد من الدوريات الثقافية المتخصصة، تكفى الإشارة إلى مجلة «الرسالة» التى كان يرأسها أحمد حسن الزيات، ومجلة «الثقافة» التى كان يرأس تحريرها أحمد أمين، ومجلة «الكاتب المصري» التى كان يرأس تحريرها «طه حسين».

كانت مجلة «الكتاب» التى قام على تحريرها «عادل الغضبان»؛ مجلة راقية تمثل الجانب الأصيل والرصين من الثقافة العربية، وقد ظهرت تقريبًا فى نفس التوقيت الذى ظهرت فيه مجلة «الكاتب المصرى» التى كانت تنقل آثار الغرب لتمثل جانبا آخر من جوانب المعاصرة والحداثة الثقافية فى ذلك الوقت، وأراد الغضبان لمجلة «الكتاب» أن تكون منبرا عاليًا ورصينًا للأدب الرفيع، وساحة أدبية مفتوحة لكل أعلام الشرق والغرب، وفتح للنقد صفحات واسعة، فأدى بذلك للثقافة العربية أعظم خدمة.

وكانت «الكتاب» آية فريدة بين المجلات الثقافية العربية فى صورتها الجميلة وذوقها الرفيع وتنوعها الثقافى الواسع وأبدت

اهتمامًا كبيرًا بالفن التشكيلى العالمى، وحرصت على نشر لوحات ملونة من روائع الإبداع الإنسانى فى هذا المجال، كذلك حرصت «الكتاب» على الجمع بين الثقافة العصرية والتراث العربى، وكانت هذه المجلة البديعة تمثل جامعة عربية ثقافية، فكانت تنشر فى أعدادها الشهرية مقالات ودراسات وقصصًا وقصائد لمختلف الأقلام من مصر وسائر أنحاء الوطن العربى، ومن يراجع أعداد هذه المجلة يشم فيها عطر العروبة، ويشهد مدى تركيزها وعمق دعواتها وآرائها النوعية فى كون العرب فى العقل والوجدان هم أمة واحدة، وإن تعددت الأقطار وتنوعت البلدان واشتدت ضربات الأعداء.

صدر العدد الأول من المجلة فى أول نوفمبر من عام ١٩٤٥م، وتضمن مواد متنوعة تغطى فى موضوعاتها معظم المبادئ الستة التى ظهرت فى خطتها، واشترك فى تحرير هذا العدد الأول كل من: «عباس محمود العقاد، أحمد زكى، شفيق جبري، زكى حسن، أحمد خاكى، هدى شعراوى، عائشة عبد الرحمن، أحمد شاكر، توفيق الحكيم، إسماعيل مظهر، المازنى، عبد الوهاب عزام، على الجارم، وآخرين». وظهرت فى العدد بوضوح براعة استهلال ممتازة، وتبويب دقيق، واختيار الموضوعات بعناية فائقة، وتسلسل فنونه مما يقدم المثل الراقى للصحافة الأدبية الممتازة، واتجاه «عادل الغضبان» فى هذا الميدان، هو اتجاه انفرد به بين النظراء.

وصدّر الناشر العدد الأول بكلمة أشار فيها إلى رسالة الفكر السامية وجهود دار المعارف فى نشر الفكر وحمل رسالته، وكيف أن «الشرق العربى جلا الله له اليوم آفاقا جديدة يستشف من ورائها سبل الحق والحرية والكمال»، وكيف أنه يحتاج إلى قادة الفكر فى توجيهه، وأن قادة الفكر يحتاجون إلى مجلة، وهذه هى الكتاب التى شاءت الدار «أن يكون لها يد فى تمكين

أعلام مصر وجاراتها من توجيه الشعوب العربية إلى توطيد دعائم سيادتها عن طريق الرفيع العالى من العلوم والآداب والفنون».

قالوا عن مجلة «الكتاب»

يقول الأديب السورى المعاصر «فاضل السباعى»: «واظبت على قراءة مجلة «الكتاب» الراقية طوال المرحلتين الإعدادية والثانوية من دراستى، لم يفتنى منها عدد. وزاد اهتمامى بها بعد أن غدوت طالبًا فى جامعة القاهرة، وقد حرصت على زيارة دار المعارف، وتعرّفت على رئيس تحرير المجلة الشاعر «عادل الغضبان»، الذى رأيته بشوش الوجه وذا عينين زرقاوين، وهو سوريّ حلبى متمصّر».

ويقول الأستاذ «عبد الفتاح أبو مدين» فى افتتاحية محاضرة له عن «عادل الغضبان» ومجلة «الكتاب» والدور الذى لعبه أثناء رئاسته لتحريرها: «للأستاذ «عادل الغضبان» مواهب كثيرة، تجلت فى نتاجه الحافل نثرًا شعرًا، فقد كان كاتبًا مجيدًا، وناقدًا فاضلاً، وقصاصًا مبدعًا، وشاعرًا عرف بالجودة والاتقان، ولكن أبرز نشاطه قد تجلى فى مجلدات مجلة «الكتاب»، التى أشرف على إصدارها وتحريرها قرابة السنوات الثمانى من سنة ١٩٤٥م إلى سنة ١٩٥٣م فسدت فراغًا كبيرًا فى مضمار تفوقها الأدبى والعلمى، لذلك رأيت أن يكون حديثى خاصًا بأثره البارز فى تحرير هذه المجلة، وإنه لأثر عظيم..!».